بابُ التَّوبةِ مفتوح

أ.هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

لقد أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتوبة إليه، والاستغفار من ذنوبنا، في آيات كثيرة من كتابه الكريم، وسمى ووصف نفسه بالغفار، وغافر الذنب، وذي المغفرة، وأثنى جل جلاله على المستغفرين ووعدهم بجزيل الثواب، وكل ذلك يدلنا على أهمية التوبة، **وحاجتنا إلى التحدث عن موضوع التوبة حاجة ماسة**، بل إن ضرورتنا إليها مُلِحَّة؛ فنحن نذنب كثيراً، ونفرّط في جنب الله ليلاً ونهاراً، فنحتاج إلى ما يصقل القلوب، وينقيها من رين الذنوب.

ثم إن كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون كما أخبر الرسول ﷺ؛ فالتوبة تجب ما قبلها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، يغفر الذنب ويمحو الله الخطايا لمن طلبها وسعى إليها ، مصداقًا لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي، فلهذا قال: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ) أي: كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا من أعمال القلب والبدن، وأقوال اللسان. (ثُمَّ اهْتَدَى) أي: سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو**

ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب"[(١)].

أمر الله سبحانه وتعالى بالتوبة فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ووعد بالقبول عليها، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى:٢٥].

وقال النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنَّهُ قالَ: «**يا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[(٢)].

(إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)

يتودد سبحانه في خطابه للعاصين، منادياً إياهم سبحانه: «يا عبادي»، «فَاستغْفِروني أَغْفِرْ لَكُمْ»، وأي كرم هذا؟ يدلهم على طريق المغفرة ليغفر لهم، سبحانه من كريم، سبحانه من لطيف، سبحانه من رحيم، أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين جَلَّ جَلَالُهُ، ومن كرمه أن جعل للعصاة المذنبين المعتدين باب التوبة مفتوح أمامهم، لا يغلق دونهم ما لم تطلع الشمس من مغربها، أو ما لم تغرغر الروح، فاللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحبُّ أنْ يَسألَه العبادُ ويَستغفِرُونه.

---

(١) تفسير السعدي (صـ٥١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٧٧).

﴿ باب التوبة مفتوح ﴾

لقد فتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -بجوده وكرمه- باب التوبة؛ وأمر عباده بها، وحض عليها، ووعد بقبولها، سواء كانت من الكفار أو المشركين، أو المنافقين أو المرتدين، أو الطغاة، أو الملاحدة، أو الظالمين، أو العصاة المقصرين؛ وما ذاك إلا لعظيم جوده وكرمه جَلَّ جَلَالُهُ.

فمهما بلغت الذنوب وقبحت، ومهما أسرف العبد وأذنب؛ فإن رحمة الله تسعه، ومغفرة الله تشمله، سبحانه من رب كريم غفار رحيم، قابل التوبة غافر الذنب، غفور رحيم.

بيَّن سبحانه بعض المسائل عن التوبة في كتابه وفي سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منها:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالتوبة: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أَيِ: **ارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ**، {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} أَيْ: **بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ النِّقْمَةِ**"(١).

٢- أن الله وعد بقبول التوبة مهما عظمت الذنوب: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ في حق المنافقين: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦].

وقال في شأن النصارى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣]، ثم قال جَلَّ جَلَالُهُ داعياً لهم إلى التوبة: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حق أصحاب الأخدود الذين خدوا الأخاديد لتعذيب المؤمنين وتحريقهم بالنار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/١١٠).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ"**[1].

٣- أن الله حذر من القنوط من رحمته: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -في هذه الآية- قَالَ: قَدْ دَعَا اللَّهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ:** ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **"**[2].

٤- أن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**[3].

٥- أن الله رتب الثواب الجزيل على التوبة ووعد من تاب بالخير الكثير: فبالتوبة والاستغفار تُستنزل الرحمات، وتبارك الأرزاق، وتكثر الخيرات، ويعطي الله الأموال والبنين، ويغفر الذنب، ويمنح القوة والسداد والرشاد يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

فالله عفو غفور تواب، يقبل التوب ويغفر الذنب، يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، فضلاً منه سبحانه وإحسانًا؛ يعصي المخلوق الخالق ويدله الله على طريق المغفرة ليغفر له.

ثم إن التوبة في الإسلام ليست بالطريق الوعر، بحيث لا يصل إليها مريدها إلا بعد تعب ومشقة، أو اعتراف أمام أحد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما هي عند بعض الأديان، بل إنها سهلة وميسرة، فبابها مفتوح في كل لحظة يطرقه من يشاء ليتطهر من ذنبه، فليس المذنب وبين ربه وسيط

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٠٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٩).

مهما أسرف على نفسه؛ قال عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فمن أرد الرجوع إلى الطريق المستقيم فما عليه إلا أن يُبادر بالتوبة ويقلع عن الذنوب من قبل أن يأتي يوم يحال فيه بينه وبينها، فيتحسر على ما فرط، ويندم ولات ساعة مَنْدَم؛ فالمسلم يبادر ولا يتوانى عن التوبة، ويلحقها بالإيمان والهدى والعمل الصالح، علّ الله يقبل عثرته، ويغفر ذنبه، مصداقًا لقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢].

والله يفرح بتوبة عبده مع غناه عنها، فعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ**»(١).

والعجيب كل العجب أن من العصاة من هم يعرفون الله ويعصونه! يعصون الله على مرأى من الله ومسمع وهم يعلمون بل يحفظون في قلوبهم قبل ألستهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق:١٤].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: "**العَجَبُ كُلّ العَجَبِ لِمَن عَرَفَ الله ثُمَّ عَصَاهُ بَعْدَ المَعْرِفَةِ**"(٢).

بادروا بالتوبة قبل فوات الأوان، وتقربوا إلى الملك الديان قبل أن يأتي هازم اللذات، ويتحسر الإنسان على فوات الأوان، فتوبوا إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي، كبيرها وصغيرها، والتوبة الحقيقية من المعاصي تكون بتركها والابتعاد عنها، مع الندم على فعلها، والعزم على عدم الرُجوع إليها، وليست التوبة تكون فقط باللسان كما هي حال أغلب الناس، ما أكثر من يتوب لكن توبة الكذابين، توبة الكذابين هم الذين يتركون الذنوب لفترة مؤقتة لسبب ما، فإذا جاءتهم الفرصة رجعوا إلى معاصيهم، أو الذين يقولون أستغفر الله باللسان وهم مصرين على الذنوب، كما قال القاضي عياض، وغيره، هذه توبة الكذابين، فالاستغفار بلا توبة لا يوجب الغفران بل توجب الخسران .

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٨).

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح (ص٩٥).

التوبة واجبة على الفور، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب**"[1].

والتوبة الحقيقية هي التوبة النصوح، وهذه هي التوبة التي سمّاها الله عَزَّوَجَلَّ في القُرآن الكريم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [التحريم:٨].

(١) رياض الصالحين (ص٣٣).

﴿ شروط التوبة ﴾

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تعَالَى لاَ تَتعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط: أحَدُهَا: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ، والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا، والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبداً. فَإنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ. وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعلَقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ، وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي"(١).

فإذا أتى التائب بتلك الشروط تُقبل توبته، ويُغفر ذنبه، وقد يُبدله الله سيئاته حسانات، سيئاته كلها حسنات إن صدق من الله، حتى وإن كانت من أكبر الكبائر، حتى من الشرك والسحر والزنى، وإن كانت من قتل النفس، بل وإن قتل أنفس كثيرة يغفر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له إن صدق عبدُه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا اسْتِحْبَابُ مُفَارَقَةِ التَّائِبِ الْمَوَاضِعَ الَّتِي أَصَابَ بِهَا الذُّنُوبَ وَالْأَخْدَانَ الْمُسَاعِدِينَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَمُقَاطَعَتِهِمْ مَا دَامُوا عَلَى حَالِهِمْ وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِمْ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٦) واللفظ له.

صُحْبَةَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ الْوَرِعِينَ وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ وَيَنْتَفِعُ بِصُحْبَتِهِمْ وَتَتَأَكَّدُ بِذَلِكَ تَوْبَتُهُ"[١].

فالصحبة السيئة سبب صارف عن كل خير، وهناك صوارف أخرى عن التوبة ترجع لعدة أسباب فمنها:

﴿الأسباب الصارفة عن التوبة﴾

أولاً: اعتماد العبد على سعة رحمة الله وكرمه وعفوه:

حتى إن بعض المذنبين من الناس إن كلَّمْتَه ناصحًا أو زاجرًا له عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة، وغفرانه يسع الذنوب كلها، ويشير إلى قلبه ويقول التقوى ها هنا! ونسي هذا المسكين أن الله عَزَّوَجَلَّ كما أنه واسع المغفرة؛ فهو تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ شديد العقاب، وأنه لا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند المكابر.

نسي هذا المسكين أن القلب إذا صلح صدقته الجوارح، وهذا هو ما رمى إليه الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله: **"لَيسَ الإيمَانُ بالتَّمَني وَلَا بالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ بِمَا وَقَرَ فِي القَلْبِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ"**[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"مَن اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ مَعَ بَاطِنِهِ؛ خُتِمَ لَهُ بالإِيمَانِ"**[٣].

مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان: **أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص.**

قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ"**[٤].

ثانياً: التسويف والاغترار بالأماني:

وقد حذَّر الله من ذلك في غير ما آية من كتابه الكريم، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/٨٣).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (صـ١٩٧).

(٣)

(٤) الشريعة للآجري (٢/٦١١).

التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ من جميع الذنوب واجبة على كل مكلف كل لحظة، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

فمن الناس من يدرك خطأه، ويعلم حرمة ما يقع فيه، ولكنه يؤجل التوبة، ويسوّف فيها؛ فمنهم من يؤخرها إلى ما بعد الزواج، أو التخرج، ومنهم من يؤجلها ريثما تتقدم به السن، إلى غير ذلك من دواعي التأجيل.

وهذا خطأ عظيم؛ لأن التوبة واجبة على الفور؛ فأوامر الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ على الفور ما لم يقم دليل على جواز تأخيرها، بل إن تأخير التوبة ذنب يجب أن يستغفر منه.

وقال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "**الْمُبَادَرَةَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ، فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ**"[1].

أخرج ابن أبي الدنيا رَحِمَهُٱللَّهُ عن عكرمة رَحِمَهُٱللَّهُ في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قَالَ: "**إِذَا قِيلَ لَهُمْ: تُوبُوا، قَالُوا: سَوْفَ**"[2].

فعلى العبد أن يعجل بالتوبة؛ لوجوب ذلك؛ ولئلا تصير المعاصي راناً على قلبه، وطبعاً لا يقبل المحو، أو أن تعاجله المنية مصراً على ذنبه.

ثم إنَّ تركَ المبادرة للتوبة سبب لفعل ذنوب أخرى، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ، كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[3].

فكثرة الذنوب تقسي القلب وتسود القلب، الذنوب تترك في القلب أثر، نقطة سوداء من أثر المعصية، فكثرةَ الذُّنوبِ والمعاصي تُحوّلُ القلب إلى السَّوادِ الخالِصِ نسأل الله السلامة والعافية، لكن من فضل الله أن التوبة تجلوا هذا السواد وتزيل أثر الذنوب والمعاصي، فلماذا التأخير لأن الإنسان لا يدري

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٨٣).

(٢) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (صـ١٤١).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/٣٣٣) برقم (٧٩٥٢)، والترمذي في سننه برقم (٣٣٣٤)، وابن ماجه في سننه برقم (٤٢٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٧/٣) برقم (٣١٤١).

متى يفجعه الموت فيجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله عز وجل من كل ذنب، العاقل لا يؤخر التوبة فربما لا يدركها عقوبة له.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"يا بَطَّالُ إلى كم تُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ وَمَا أَنْتَ فِي التَّأخِيرِ مَعْذُورٌ؟ إِلى مَتَى يُقَالُ عَنْكَ: مَفْتُونٌ مَغْرُورٌ؟ يَا مِسْكِيْنٌ! قَد انقَضَت أَشْهُرُ الخَيْرِ وَأَنْتَ تَعُدُّ الشُّهُورَ، أَتُرَى مَقْبُولٌ أَنْتَ أَم مَطْرُودٌ؟ أَتُرَى مُواصِلٌ أَنْتَ أَم مَهْجُورٌ؟ أَتُرَى تَرَكَبُ النُّجُبَ[1] غَدَاً أَم أَنْتَ عَلَى وَجهِكَ مَجْرورٌ؟ أَتُرَى مِن أَهْلِ الجَحِيمِ أَنْتَ أَم مِن أَربَابِ القُصُورِ؟"**[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون؟ ما هذه الرقدة وأنتم مستيقظون؟ كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون؟ كم آبَ مَنْ قبلكم ألا تتفكرون؟ أما رأيتم كيف نازَلهم نازل المنون؟ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون"**[3].

إن التسويف وتأجيل التوبة من أهم أسباب سوء الخاتمة، كان بعض السلف يقول: **"أُنْذِرُكُم سَوفَ، فَإِنَّهَا أَكْبَرُ جُنُودِ إِبْلِيسَ"**[4]، وما أكثرهم الذين كانوا غارقين في الشهوات والشبهات، وهم قد أجلوا التوبة يومًا بعد يوم، حتى أتاهم ملك الموت فجأة، فيصطرخون ويقول كل واحد منهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، فهؤلاء لما نزل بهم الموتُ بسبب تسوفيهم أغلق دونهم باب التوبة، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

وقد حذَّر الله جَلَّجَلَالُهُ في كتابِه عبادَه من التسويف في عدة آيات؛ ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح قبل المفاجآت، ملك الموت يأتي بلا استئذان، لا يطرق الأبواب حتى نتهيأ لاستقباله، بين الله لنا ذلك في كتابه، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ *وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ *أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ *أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ *أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٤-٥٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ

---

(١) جمع نجيب، وهي الناقة الجيدة.

(٢) بحر الدموع (ص٤٢).

(٣) رؤوس القوارير لابن الجوزي (ص١٥٢).

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٣٥٦).

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

فإياكم والتسويف فالعمر قصير، والباقي منه هو يسير، وإن الإنسان يموت على ما عاش عليه، ويُحشر على ما مات عليه، فمَن استقام في هذه الحياة الدنيا، خُتِم له بخاتمة سعيدة، ومَن أصر وكابر وحارب ربه، فسيكون مآله ما سمعنا الآن رب العالمين .

نسأل الله حسن الخاتمة، نسأل الله أن يوفقنا إلى التوبة النصوحة قبل الممات، وأن يوفقنا للصالحات ولا يلهينا عن التوبة ولا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا.

ثالثاً: استصغار الذنب مما يسبب عدم الخوف من الله:

انتشرت ظاهرة استصغار الذنوب بشكل مريع في هذا الزمن، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **مِنَ المُوبِقَاتِ**"[١].

الله أكبر، تلك الأعمال التي يراها الصحابة من المهلكات، ويراها التابعون أصغر من الشعر وأدق منه: فما هو حالنا اليوم؟

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "**يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ سُوءَ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ، قِلَّةُ حَيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ – وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ – أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ**"[٢].

انظروا إلى التساهل في الكبائر في هذه الأزمنة؟ التبرج، الاختلاط، شرب الخمر والمخدرات، أكل الربا وكثرة الزنا، وأما الكذب والغيبة فحدث ولا حرج، الكاسيات العاريات ما أكثرهم اليوم؟ والمجاهرة بالذنوب والمعاصي بلا أدنى حياء من الله اليوم؟ أين هؤلاء هم من قول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٩٢).

(٢) الجواب الكافي (ص٥١).

عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[1].

قال الصالحون: "**لا تَنْظُر إلى صِغَرِ الذَّنْبِ وَانْظُرْ إلى عِظَمِ مَنْ خَالَفْتَ**"، فالمعصية الصغيرة هي معصية أيضاً لله عَزَّوَجَلَّ، والتساهل بها يجعلها كبيرة عند الله، لإصراره، **فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**، وقد روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعاً: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»، ولكنه لا يثبت[2].

ومن كرم ربِّ العباد على العباد أن منح عباده مهلة للتوبة قبل أن يقوم الكرام الكاتبون بالتدوين، كما أخبرنا بذلك نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ صَاحِبَ الشِّمَالِ لِيَرْفَعُ الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ أَوِ الْمُسِيءِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهَا أَلْقَاهَا، وَإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً**»[3].

ومن كرم رب العباد على العباد أن جعل لهم التوبة مفتوحة بعد كتابة الذنب إلى ما قبل حضور الأجل، لكن مصيبة كثير من الناس أنهم يعصون الله بأنواع الذنوب ليلاً ونهاراً، ولا يرجعون إليه بالتوبة ولاستغفار، والحقيقة والواقع المرير أن كثير من الناس ابتلوا باستصغار الذنوب، وأكثر منهم الذين ابتلوا بالكبائر وكأنها من المباحات والعياذ بالله.

والله لا نتألم اليوم على فعل الصغائر إنما على فعل الكبائر والمجاهرة بها، كيف حال الناس اليوم مع الصلاة؟ مع عمود الدين؟ مع الركن الثاني من أركان الصلاة؟ تأخير الصلوات عن أوقاتها، ترك الجماعات في المساجد، الصلاة بلا خشوع ولا روح فيها، النوم عن صلاة الفجر، عدم الطمأنينة فيها، بل وصل الأمر إلى ترك الصلاة بالكلية والعياذ بالله!

إنها الصلاة، التي من حفِظها وحافظ عليها فقد حفِظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، بل من ترك صلاة مكتوبة متعمدا برأت منه ذمة الله.

ألم يعلم هؤلاء أن العهد الذي بين الإنسان وبين ربه الصلاة؟ ألم يعلموا أنه من لا صلاة له فقد قطع صلته بربه!

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٦٩).

(٢) ضعيف الجامع الصغير للألباني برقم (٦٣٠٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٧٧٦٥)، والأصبهاني في حلية الأولياء (٦/١٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠٩٧).

ما أكثرهم الذين يتهاونون في الصلاة اليوم، أو يؤخروها عن أوقاتها بلا عذر، ما معنى شهادةُ أن لا إله إلا الله لرجل تؤخره تجارته، أو وظيفته، أو عملُه، أو منصبُه، أو اجتماعه عن الصلاة، أو مباراة، أو نوم بسبب السهر على الشاشات ومتابعة الأفلام والمسلسلات؟

اللهم سلم، اللهم سلم، لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها، فلننظُر نحن الآن في صلاتنا، هل هي تؤثِّر في حياتِنا فنزداد بها طمأنينة وراحة، أم أنَّ حياتَنا المؤثِّرةُ فيها فأصبحنا نصليها ولتخلص من همها ولنرتاح منها حتى نعود إلى حياتنا وملهياتها بأسرع وقت نستطيع؟ لينظُر كل واحد إلى حاله مع الصلاة، لنقِف وقفةَ تأمُّل مع الصَّلاة التي هي عِماد الدين، حتَّى نقيمَها كما يحب الله ويرضى، في خشوع وخضوع وإقبال وإنابة، نسأل الله أن يجعل الصلاة قرة أعيننا وقرة أعين ذرياتنا والمسلمين والمسلمات أجمعين.

رابعاً: الغفلة والانشغال بالدنيا والافتتان بها:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا في كتابه العزيز: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، هذه تذكرة لكل من انشغل بالدنيا عن الآخرة، وحذر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الاغترار بها، أو الركون إليها؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩]، فالدنيا ليست دار قرار ولا استقرار، وإنما هي دار تزود عبور ومع علم البعض بذلك إلا أنهم انشغلوا بها، اشغلتهم دنياهم عن الآخرة.

قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[(١)].

وهل التنافس الآن في هذه الأزمان على طلب العلم أم طلب الدنيا؟ وهل التنافس على بناء قصور الجنة في الآخرة أم على بناء قصور في الدنيا؟ هل التنافس الآن على جمع الحسنات أم على جمع المال؟

إن الرغبة في الآخرة لا تأتي إلا بالزهد في الدنيا، والاستعداد ليوم المعاد، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٠١٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٦١).

خُلقنا فيها لعبادته وليس للافتنان بها، يكفينا حالنا مع الجوالات الآن، كم من ساعة يقضي الإنسان على جواله في اليوم؟ الله المستعان، كم من الوقت يقضي الناس على شاشات التلفاز؟ على الأخبار والمباريات؟ على المسلسلات؟ أو في الأسواق والمقاهي والمطاعم وغيرها؟ يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[1]، هل هذا هو حالنا؟ والله نعيش فيها وكأننا سنعمر قروناً من طول الأمل، الدنيا دار فناء، ولم يجعلها دار بقاء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**النَّاس مُنْذُ خلقُوا لم يزَالُوا مسافرين وَلَيْسَ لَهُم حط عَن رحالهم إِلَّا فِي الْجنَّة أَو النَّار**"[2].

لا تبيعي النفيس بالرخيص، الجنة سلعة الله الغالية، الجنة مقر أولياء الله الطائعين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نسأل الله الفردوس الأعلى، ونسأل الله أن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يخرجنا من هذه الدنيا وهو راض عنا، وأن يجعل أوقاتنا في مراضيه.

﴿ تنبيهات مهمة قد تذهل عن البعض ﴾

أولاً: الغفلة عن التوبة مما لا يعلمه العبد من ذنوبه:

فكثير من الناس لا تخطر بباله هذه التوبة؛ فتراه يتوب من الذنوب التي يعلم أنه قد وقع فيها، ولا يظن بعد ذلك أن عليه ذنوباً غيرها.

وهذا من الأخطاء التي تقع في باب التوبة، والتي قلَّ من يتفطن لها؛ فهناك ذنوب خفية، وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ، مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي عَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا جَهْلُهُ إِذَا كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ عَاصٍ بِتَرْكِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَالْمَعْصِيَةُ فِي حَقِّهِ أَشَدُّ**"[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٦).

(٢) الفوائد (صـ١٩٠).

(٣) مدارج السالكين (١/٢٨٣).

وجاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو في صلاته: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[١].

وفي الحديث الآخر: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»[٢].

فهذا التعميم، وهذا الشمول؛ لتأتي التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه، وما لم يعلمه[٣].

ثانياً: ترك التوبة مخافة الرجوع للذنب:

فمن الناس من يرغب في التوبة، ولكنه لا يبادر إليها؛ مخافة أن يعاود الذنب مرة أخرى.

وهذا خطأ؛ فعلى العبد أن يتوب إلى الله، فلربما أدركه الأجل قبل أن يتوب.

كما عليه أن يحسن ظنه بربه جل وعلا، ويعلم أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه، وأنه سبحانه وتعالى عند ظن عبده به.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**»[٤].

ثم إن على التائب إذا عاد إلى الذنب أن يجدد التوبة مرة أخرى وهكذا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**»[٥].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى الحديث: "**قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِي تَكَرَّرَ ذَنْبُهُ (اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ) مَعْنَاهُ: مَا دُمْتَ تُذْنِبُ ثُمَّ تَتُوبُ؛ غَفَرْتُ لَكَ**"[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١٢٠)، و(٦٣١٧)، و(٧٣٨٥)، و(٧٤٤٢)، و(٧٤٩٩)، ورواه مسلم في صحيحه (٧٦٩) و(٧٧١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٣).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٢٨٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٥٠٧)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٨)، واللفظ لمسلم.

(٦) شرح صحيح مسلم (١٧/٧٥).

ثالثاً: ترك التوبة خوفاً من لمز الناس:

فمن الناس من تحدثه نفسه بالتوبة، ولزوم الاستقامة، ولكنه يخشى لمز بعض الناس، وعيبهم إياه، ووصمهم له بالتشدد والوسوسة، ونحو ذلك مما يُرمى به بعض من يستقيم على أمر الله، حيث يرميه بعض الجهلة بذلك؛ فيترك التوبة؛ خوفاً من اللمز والعيب.

وهذا خطأ فادح؛ إذ كيف يُقَدِّم خوف الناس على خوف رب الناس؟ وكيف يُؤْثِرُ الخلق على الحق؟ فالله أحق أن يخشاه.

ثم إن ما يُرْمَى به إذا هو تاب إنما هو ابتلاء وامتحان، ليمتحن أصادق هو أم كاذب؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:١-٣]، فإذا صبر في بداية الأمر هون الله عليه، وهان عليه ما يقال له، وإن حسنت توبته، واستمر على الاستقامة أجلَّه من يُعَيِّره، بل ربما اقتدى به، أضيفي إلى ذلك أن الإنسان سيذهب إلى قبره وحيداً، وسيحشر إلى ربه وحيداً؛ فماذا سينفعه فلان وفلان ممن يثبطونه؟

رابعاً: الاغترار بإمهال الله للمسيئين:

فمن الناس من يسرف على نفسه بالمعاصي؛ فإذا نصح عنها، وحُذِّر من عاقبتها قال:

ما بالنا نرى أقواماً ملؤوا الأرض بمفاسدهم، وظلمهم، وقتلهم الأنفس بغير الحق، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه، ومع ذلك نراهم وقد دُرَّتْ عليهم الأرزاق ويعيشون في رغد ونعيم؟

ولا ريب أن هذا القول لا يصدر إلا من جاهل بالله، وبسننه عَزَّوَجَلَّ.

ويقال لهذا وأمثاله: الله عَزَّوَجَلَّ يعطي الدنيا لمن أحب، ولمن لا يحب؛ وهؤلاء المذكورون مُتَبَّرٌ ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون؛ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم؛ فما الذي هم فيه من النعيم إلا استدراج، وإمهال، وإملاء من الله عَزَّوَجَلَّ حتى إذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[١].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٥٨٣).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ أَنْ يَحْذَرَ مَغَبَّةَ المَعَاصِي؛ فَإِنَّ نَارَهَا تَحْتَ الرَّمَادِ، وَرُبَّمَا تَأَخَّرَتْ العُقُوبَةُ ثُمَّ فَجَأَتْ، وَرُبَّمَا جَاءَتْ مُسْتَعْجِلَةً"**[٢].

خامساً: التمادي في الذنوب اعتماداً على سعة رحمة الله:

فمن الناس من يسرف في المعاصي، فإذا زُجِر على ذلك قال: إن الله غفور رحيم، لا شك هذا من السَفَه، ومن الجهل، وغرور؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المسيئين، ولا من المفرطين المعاندين المصرين.

ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ مع عفوه وسعة رحمته؛ شديد العقاب، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن المتمادين في الذنوب اتكالاً على رحمة الله: **"وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّقَ بِنُصُوصٍ مِنَ الرَّجَاءِ، وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا وَتَعَلَّقَ بِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَإِذَا عُوتِبَ عَلَى الْخَطَايَا وَالِانْهِمَاكِ فِيهَا، سَرَدَ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَنُصُوصِ الرَّجَاءِ، وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ"**[٣].

سادساً: اليأس من رحمة الله:

فمن الناس من إذا أسرف على نفسه بالمعاصي، أو تاب مرة أو أكثر فعاد إلى الذنب مرة أخرى؛ أَيِسَ من رحمة الله، وظن أنه ممن كتب عليهم الشقاوة؛ فاستمر في الذنوب، وترك التوبة إلى غير رجعة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٨/٥٤٧) برقم (١٧٣١١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧٧٣): "وهذا إسناد قوي".

(٢) صيد الخاطر (صـ٢٠٩).

(٣) الجواب الكافي (صـ٢٢).

وهذا ذنب عظيم، وقد يكون أعظم من مجرد الذنب الأول الذي ارتكبه؛ لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون؛ فليجدد التوبة، وليجاهد نفسه في ذات الله حتى يأتيه اليقين.

فمن ذا الذي أخبر هذا بأن الله لن يغفر لذلك العاصي؟ ثم كم من الناس من تمادوا في الغي والإجرام، حتى يُظنَّ أنهم يموتون على ذلك، ثم يتداركهم الرحمن الرحيم بنفحة من نفحاته، فإذا هم من الأبرار الأخيار.

فعَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ حَدَّثَ: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[1]. ومعنى (يتألَّى عليَّ): أي: يُقسِم ويحلف.

سابعاً: الشماتة بالمُبْتَلَيْنَ:

فمن الناس من إذا رأى مبتلى بمعصية من المعاصي، أو رأى أبناء فلان من الناس قد أسرفوا على أنفسهم؛ أخذ يشمت بهم، وينتقصهم، ويذمهم.

هذا من المحرمات، من الغيبة المحرمة، ومن تزكية النفس بذم الآخرين، ويخشى على من كانت هذه حاله أن يبتلى بمثل ما ابتلي به من سخر منهم، على المسلم أن يكون أرجى الناس للناس، وأخوف الناس على نفسه، وإذا رأى مبتلى أو سمع به أن يسأل ربه العافية، وأن يحمده حيث عافاه.

قال ابن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ: "**عيَّرت رجلًا بالإفلاس، فأفلستُ**"[2].

وقال آخر: "**عِبْتُ شخصًا قد ذهب بعض أسنانه، فذهبت أسناني**"[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "**تَعْيِيرُكَ لِأَخِيكَ بِذَنْبِهِ أَعْظَمُ إِثْمًا مِنْ ذَنْبِهِ وَأَشَدُّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لِمَا فِيهِ مِنْ صَوْلَةِ الطَّاعَةِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَشُكْرِهَا، وَالْمُنَادَاةِ عَلَيْهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الذَّنْبِ**"[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢١).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣٢٢/١).

(٣) المرجع السابق.

(٤) مدارج السالكين (١٩٥/١).

في الختام:

لقد أعطانا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفرصة الواسعة في ما بقي لنا من عمر، حتى نستعجل التوبة ولا نسوّفها؛ لأنّ الشيطان يعمل على جعل الإنسان يسوّف التوبة، فيقول له: غداً تتوب أو بعد غدٍ أو بعد أن يمضي سنُّ الشباب، فإذا مضى سن الشباب يدعوه إلى أن يؤخِّر التوبة إلى مرحلة الشيخوخة، وهكذا يموت قبل أن يتوب.

أعطانا ربنا عَزَّوَجَلَّ فرصة لاستبدال السيئات بالحسنات، فالتوبة إلى الله تقلب السيئات حسنات، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

سُئل ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف يكون التَّبديل المذكور في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾؟ فأجاب: **"على ظاهره، إذا تاب المؤمنُ من سيئاته وآمن وعمل صالحًا جعل الله مكان كلِّ سيئةٍ حسنةً، فإذا كان عنده مئة سيئةٍ وتاب منها، أعطاه الله مكانها مئة حسنةٍ، بدَّل سيئاته حسنات:** ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، **فكل سيئةٍ الله يُعطي مكانها حسنةً؛ لتوبته منها، أتى بالحسنة وهي التوبة، فصارت محلَّ السيئة"**(١).

فيبغي للمسلم أن يجلس مع نفسه وينظر: هل أكل أو شرب من حرام؟ هل نظر نظرة حرام؟ هل تكلم بكلامٍ حرام؟ يستعرض كل ما فعله، ثم يقول: يا رب إني تائب، ويصدق في توبته.

كلنا نحتاج إلى توبة يمحو الله بها الخطايا وما اقترفناه في حق أنفسنا وحق غيرنا.

فلنبادر بالتوبة وفعل الخيرات، ولنركب سفينة النجاة، فمازال هناك متسع من الوقت، ولا يغلبنا الشيطان ويخدعنا بأن معاصينا كثيرة، فالله غفور رحيم، يقبل التوبة، فالتوبة لا يَعْظُمُ أمامها معصية ولا حتى الإشراك بالله، فالله أكبر على نعمه العظيمة.

ربنا آتِ أنفسنا تقواها، وزَكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها؛ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا اغفر وارحم، وتجاوز عما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، وأنت أعلم وغيرك لا يعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) موقع الشيخ رحمه الله، https://cutt.us/2jeJ8